 الدرس الثاني من (شرح القواعد الأربع)

لشيخ الاسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب

رحمه الله تعالى

الشيخ أبو عبد الأعلى خالد بن عثمان حفظه الله

الطالب: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد:

فهذا هو المجلس الثاني في شرح القواعد الأربع. للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي رحمه الله تعالى، وكان هذا المجلس في ليلة الخميس الثامن من جمادى الآخرة للعام السابع والثلاثين بعد المئة الرابعة وألف.

الشيخ : نعم تفضل

الطالب: الحمدُ لله وحده

والصلاة والسلام على من لانبي بعده. اللهم اغفر لشيخنا ولمشايخه والحاضرين.

المتن:

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في القواعد الأربع:

القاعدة الثانية:إنهم يقولون مادعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة، فدليل القربة قوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون

إن الله لايهدي من هو كاذب كفار﴾ ودليل الشفاعة قوله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.
والشفاعة شفاعتان:شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة.

فالشفاعة المنفية:ماكانت تطلب من غير الله فيما لايقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾.

والشفاعة المثبتة:هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾.

الشيخ: نعم، بسم الله والحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله. وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع هداه. أما بعد:

فهذه القاعدة الثانية من القواعد الأربع التي جعلها الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى قواعد أساسية يعرف بها التوحيد، ويميز عن الشرك، نظراً لعظم الجهل بها؛ رغم أنها قواعد بسيطة، أي يعني مختصرة في ألفاظها، ولكن مدلولها عظيم، وهذا المدلول على بساطته في الفهم يجهله الجم الغفير، خاصةً في زمن الإمام محمد بن عبد الوهاب. ومن أجل ذلك صنف هذه المصنفات التي قد يستقل بها البعض الآن. أو يزهد فيها جهلا منه بقيمتها.

فهذه القاعدة الثانية بين فيها المصنف رحمه الله تعالى الشبهةَ التي اعترت المشركين قديماً وحديثاً؛ وهي قولهم: نحن مادعوناهم، أي مادعونا هذه الآلهة أو المعبودات، وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة، وهذا تصريح منهم، بل هم يعتقدون أن هذه المعبودات لاتخلق شيئاً ، أو لم تخلق شيئاً، هم ما عبدوها لأنهم يعتقدون أنها خلقت أو أنها ترزق.

لا، هم يظنون ظن الجاهلية أن هذه المعبودات لها قداسة عند رب العزة،فاتخذوها وسيلة تقربهم إلى الله عن طريق دعائها، فقالوا: مادعوناهم وتوجهنا إليهم إلا من أجل هذا، إلا لطلب القربة والشفاعة ، أي : كي يقربوهم إلى الله، وكي يشفعوا لهم عند الله، كي يقبل دعاءهم، هذه شبهتهم قديماً وحديثاً.

وهذا يدلك على أن هؤلاء الذين يصورون للناس أن المشركين القدامى إنما كانوا يعبدون هذه الآلهة المتمثلة في الأصنام؛ لأنهم يعتقدون أنها خلقتهم أو أنها ترزقهم فهذا كلام باطل، يرده صريح القرآن، ويرده التاريخ، الذي هم قد يعتمدون عليه أو قد يقدمونه أحياناً على كتاب الله.

فأول شرك ظهر في بني آدم كان بعد مرور عشرة قرون على نزول آدم عليه السلام إلى الأرض، كما بين هذا ابن عباس رضي الله عنه، وفي قوله: قد كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام، وإنما طرأ الشرك على بني آدم في زمن نوح، ومن أجل هذا بعثه الله. فكان أول رسول إلى أهل الأرض بعد أن طرأ عليهم الشرك، فاحتاجوا إلى رسول كي يذكرهم بالتوحيد الذي نزل به آدم عليه السلام. فآدم كان على الإسلام، دينه الإسلام، ونزل بالإسلام فكان نبياً مكلما عليه السلام.

فلما جاء الشيطان إلى هؤلاء؛ أتى إليهم بالتدريج، وألقى عليهم هذه الشبهة، كما بين هذا أيضاً ابن عباس في الأثر الذي أخرجه البخاري في صحيحه من طريق عطاء، والبعض طعن في هذا الأثر، لأنهم قالوا إن عطاء هو: عطاء الخرساني ليس عطاء بن أبي رباح.

ولكن الصواب أنه عطاء بن أبي رباح، وهو أثر صحيح، والبخاري أعلى وأجل في هذا العلم أن يخيل عليه مثل هذا الأمر، أو أن لا يجهل التفريق بين عطاء الخرساني، وعطاء بن أبي رباح،

فالشاهد، هذا الأثر صحيح لا مرية في صحته؛ لأن القبوريين هم ومن على شاكلتهم من أهل الأهواء يطعنون في صحة هذا الأثر، وهو أثر صحيح ويدل عليه ظاهر القرآن في سورة نوح عليه السلام.

في قوله تعالى :﴿ وقالوا لاتذرن ءالهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾.

فقال ابن عباس لما قرأ هذه الآية: أسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا أوحى الشيطان إليهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، أي: كي يتفكروهم بها، فلم تعبد، أي في أول الأمر، فلما مات أولئك، أو مات هؤلاء الذي أوحى إليهم الشيطان أن ينصبوا أنصابا في مجالس هؤلاء و تنسخ العلم عبدت.

وجاء الشيطان إليهم وقال لهم، أو أوحى إليهم، إن آباءكم كانوا يعظمون هذه الأنصاب، أو هذه المقامات، أو هذه القبور، ويعظمون أصحابها، فاتخذوهم وسيلة لكم تقربكم إلى الله، ومن هنا نشأت هذه الشبهة؛ ماعبدناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب لإيه؟ القربة والشفاعة.

هذا منشأ هذه الشبهة، بدايتها في قوم نوح، هم أول من استجاب للشيطان فيما ألقاه عليهم من هذه الشبهة، فأبطل الله عز وجل شبهتهم وأرسل رسوله نوحا عليه السلام، أول رسول إلى أهل الأرض، أي : بعد ظهور الشرك عليهم، فذكر الناس بالتوحيد وبين بطلان ماهم عليه كما هو مبين وموضح في سورة نوح بأكملها.

والشفاعة لغةً: تعني التوسط، تعني التوسط عند الغير لجلب منفعة أو لدفع مضرة، هذا معنى الشفاعة من حيث الإصطلاح.

ومن حيث اللغة: فالشفاعة تعني أن يقرن شيئاً إلى آخر فيصير شفعا وضده الفرد أو الوتر، ولذلك يقال: الشفع والوتر، معنى الوتر:أي الفرد، أما الشفع هوالذي إيه؟ الزوج؛ أن يقرن شيئاً إلى آخر يصير مقترنا به فيصير شفعا.

فمن هنا أتى معنى الشفاعة: أن فلانا يتوسط عند فلان كي يشفع له، فلما حدث هذا الإقتران في الطلب سميت إيه؟ شفاعة.

فالشفيع أو فطالب الشفاعة يتخذ واسطة عند من يريد أن يحقق له خيراً أو أن يصرف عنه شرا.

فاتخذوا هؤلاء الأموات شفعاء لهم كي يتوسطوا لهم عند الله ،كما يعتقدون في أن يجلبوا لهم الخير و أن يصرفوا عنهم الشر.

ولذلك لا تعجب من فعل هؤلاء الجهال الذين وقعوا في هذا الشرك في زماننا عند قبر الحسين أو البدوي أو الدسوقي أو نحو ذلك.

إذا أتيت إلى أحدهم فتجد الأقوال التي تؤيد هذا المعنى و هذه الشبهة فتسمع منهم يقولون " يا حسين اشفع لي عند ربك.!! " نفس مقولة المشركين الأوائل، هولا يدري ذلك، وقد غرر به من قبل هؤلاء؛ الذين كان يجب عليهم البيان، و الله العظيم يسألهم عن هذه الأمانة يوم القيامة. و هم أشد إثما من هؤلاء الذين وقعوا في هذا الشرك لسكوتهم مع علمهم، أو مع إرادتهم الدنيا، بسبب أنهم تركوا بيان الحق خوفا على مناصبهم أو خوفاً على أموال صناديق النذور. فباعوا دينهم بعرض زائل من الدنيا لا قيمة له، للأسف. و بعضهم قد يمعن في هذه الشبهة حتى يبرر لنفسه أنه على الحق.

فالشاهد أن هذه الشبهة شبهة داحضة كما بين المصنف فيما ذكره من الآيات في قوله: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) .

فأبطل الله عز وجل هذا، وبين أن هؤلاء لا شفاعة لهم. أي بعد موتهم؛ في الدنيا. وأما الشفاعة في الآخرة فهي ثابتة بالنصوص المتوافرة.

فالشفاعة التي تكون من الأنبياء و الصالحين لاتكون في الدنيا بعد موتهم. و كذلك في حياتهم هم لا يملكون الشفاعة إلا من باب الدعاء فقط، يعني يصح للعبد الصالح أن يدعو لغيره في الدنيا لابأس.

وإن كان العلماء كرهوا أن يسأل فلان الدعاء؛ كما كان السلف يقولون: نحن لسنا أنبياء. ولكن وإن كان السؤال للغير يعد مكروها ولكنه جائز؛ جائز مع الكراهة؛ أن تقول له" أدع لي" هذا عبد ظاهره الصلاح في الدنيا، وحي،

أما بعد موته فإذا ذهبت إلى قبره كي تسأله أن يدعو لك أو أن يشفع لك عند الله؛ هو لا يسمع طلبك أصلا ولا يسمع دعاءك، وهؤلاء إما أن

يتخذوا هؤلاء الأموات وسيلة لهم في الدعاء وإما أن يدعوهم مباشرة. إما أن يقول أحدهم: أتوسل بك يا حسين عند ا، لله أو عند ربك أن يفعل لي كذا، كيا حسين اشف ولدي، أو يا حسين أفعل لي كذا.

وكما بين المصنف أن الشفاعة:

على نوعين : شفاعة مثبتة و شفاعة منفية.

- الشفاعة المثبتة: هي التي أثبتها الله عز وجل في كتابه، لمن أعطاهم الإذن في الشفاعة.

وأما _ الشفاعة المنفية: هي التي نفاها الله تعالى عن هؤلاء؛ الذين لا يملكون الشفاعة لغيرهم من الأموات والمعبودات؛ التي تعبد من دون الله.

والشفاعة لها شروط: وأشار إليها المصنف. وهي تتلخص في شرطين ،أي الشفاعة المثبتة.

الشرط الأول: رضا الله عن المشفوع، وكذلك عن الشافع.

والشرط الثاني: أن يأذن الله للشافع في أن يشفع.

و هذا لا يتحقق إلا بما جاء في النصوص:

نحو ما جاء في أحاديث الشفاعة التي أثبتت لرسولنا صلى الله عليه وسلم؛ أن الله هو الذي أذن له أن يشفع يوم القيامة كما في الشفاعة العظمى.

و كذلك في أن يشفع في بعض المؤمنين الذين استحقوا النار ألا يدخلوها.

أو فيمن دخل النار أن يخرج منها بعد برهة.

وهذه الشفاعات إلا العظمى مشتركة بين الرسول صلى الله عليه وسلم و بين غيره من الأنبياء والمؤمنين والملائكة؛ يشفعون في غيرهم؛ فيمن استحق النار ألا يدخلها، أو فيمن دخل النار أن يخرج منها أو في رفع الدرجات.

وأما الشفاعة التي تخص رسولنا صلى الله عليه وسلم فهي الشفاعة العظمى؛ في أن يفصل الله بين أهل الموقف.

وكذلك شفاعته في عمه أبي طالب؛ هي شفاعة خاصة به، أنه شفع فيه؛ أن يخفف عليه من عذاب النار؛ فصار أهون أهل النار عذابا، له شراكان من النار يغلي منهما دماغه.

هذه خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وبهذا القدر كفاية. نكمل بعد الصلاة إن شاء الله وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .